دردشة   عفاف عبد الرحمن

فتحت عيني لأرى النور مشعا في الغرفة، فركت عيني، لا يزال النور مشتعلا، نهضت من الفراش لأجد البيت دافئا، فالمدافئ الكهربائية أحالت المنزل إلى بيت دافئ، نظرت من النافذة فرأيت السيارات تمر من شارعنا.. تعجبت فالشارع منذ أيام طويلة وهو مغلق لاتمر منه أي سيارة.. أمعنت النظر في السيارات المارة لأجد فيها سيدات يلبسن ثيابا بألوان زاهية والسائق يستمع إلى أغاني مرحة صباحية تجعل الإنسان مقبلا على الحياة.. متأملا الخير في يومه.. دخلت إلى منزلنا واتجهت إلى المطبخ ويدي على قلبي أن تكون قنينة الغاز الوحيدة قد انتهت.. ولكني وجدت قنينة أخرى احتياط موجودة قرب المستعملة.. ركضت إلى غرفة النوم لأجدني نائمة و متكورة تحت غطاء ثقيل وعلى وجهي شبح ابتسامة..
عودة إلى موضوع الكتل الكونكريتية التي تستعمل في سيطرات التفتيش وفي المناطق السكنية لقطع الشوارع وللحمايات الخاصة، والتي كما يقال إن القطعة الواحدة منها تكلف مئات الآلاف الدنانير، وتصنع بمعمل يعود إلى أحد رجالات الدولة، أقول لو جمعنا هذه الكلف وهذه المواد من إسمنت إلى شيش الحديد الم يكن أولى بنا أن نبني بها عمارات سكنية أو حتى نعيد أعمار البنايات المتضررة منذ الحرب أي قبل أربع سنوات، لو كنا بنينا بهذه المواد لحصلنا على الأمان الحقيقي وليس الأمان الناتج عن الاختباء خلف السواتر الكونكريتية، ولما احتجنا السيطرات ونقاط التفتيش، لأننا نهتم بالبناء والإعمار ولكانت عجلة الحياة دارت والاقتصاد تحرك ولما عشنا ما نعيشه الآن!
اليوم المشكلة الأثقل هي ليست الكهرباء التي تطل علينا كل 16 أو 19 ساعة وليست النفط الذي صارت مجرد رائحته متعة.. المشكلة اليوم هي تهجير الناس في مناطق معينة ببغداد من دورهم والأدهى هي الأوامر بأن يخرجوا بدون أخذ أي شئ من أغراضهم والأمر الأقسى إنهم يرون آخرين قد سكنوا دورهم وكأنها ملكهم! كيف هو شعور من يسلب بيته وكيف هو شعور من يسلب بيت غيره.. أين هو الدين من هذه التصرفات؟ أين هو الضمير؟ أين هي الأخلاق؟ لماذا أصبحنا فجأة بلا دين ولا ضمير ولا أخلاق؟ هل أصبح العراق بلد الحضارات كما يحلو لنا تسميته وكما يعرفه العالم بلد الهمج والرعاع والقتلة واللصوص.. أين هم أهل العراق؟ أين هم عقلاء العراق؟ المشاكل تكبر والحلول تصغر والمصائب تتوالى ولا أحد يبالي بنا!!! وكما يقول المثل العراقي (الشق كبير والرقعة صغيرة).
المشاكل التي يعاني منها العراقيون امتدت إلى الحدود وخارجها فالعراقي يحجز له مقعدا على الطائرة وهي مسألة مكلفة جدا ليصل إلى مطار عمان ليمنع من الدخول بدون أسباب معلنة ويقال إنها على (مزاج ضابط أمن المطار) وطبعا ليست المشكلة في مزاج الضابط أو التعليمات ومدى انطباقها على الشخص المسافر المشكلة في تحمل مخاطر الطريق والأموال المهدورة لتذكرة الطائرة وحتى أجور السيارة.. لماذا لاتتم مراجعة السفارة والحصول على إذن الدخول من العراق لأن كل دولة حرة في إدخال من تراه مناسبا ورفض الآخرين ويكون الرفض غير قابل للنقاش كما تفعل بعض الدول كبريطانيا التي ترفض دخول العراقيين إلا من تراه مناسبا ولا تهتم حتى للحالات المرضية أو الإنسانية،.. ولماذا لا زلنا نضطر للذهاب إلى دول الجوار للتقديم على أذونات الدخول لعدد كبير من الدول؟
في مثل هذه الأيام من كل عام تعلن حالة الطوارئ في البيوتات العراقية بسبب امتحانات نصف السنة الدراسية، هذا العام حالة الإنذار معلنة منذ بداية السنة بسبب الظروف الأمنية التي نمر بها، فالأهالي يتملكهم الرعب على أولادهم وكثير من الأولاد ترك الدراسة خوفا من مشاكل الطريق والاختطافات وغيرها من المخاطر وأصبحت الامتحانات من ابسط الأمور نسبة إلى ما نمر به من مصاعب.. وعليه فإن تطبيق نظرية الكأس والماء المعروفة، ولننظر للجانب المشرق فنقول قضينا على رعب الامتحان! هكذا التفاؤل وإلا فلا..

أرجو عذري لأن دردشتي صارت كئيبة دائما وتحمل الهموم والمشاكل ولكن ماذا أفعل فالمشاكل والهموم تلاحقنا من كل جانب وصوب وأبسطها مشاكل طباعة المجلة التي تجعلنا نبدو وكأننا نكتب من الأمس البعيد بسبب التأخر.. وأملي ان تكون دردشتنا مستقبلا مثلا عن تخطيطاتنا للصيف وأين سنقضيه أو عن البناية الجميلة التي تبنى في الشارع الفلاني أو الشارع اللطيف الذي يمر بجوار نهر دجلة الخالد ومطاعمه أو.. أو يبدو إن البداية حلم والنهاية حلم آخر!!!